

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[461] بالتي تقرّبكم عندنا زلفى(1) لقد عمّ هذا الإشتباه الخطير بعضاً من البسطاء ،
وتصوّرُوا بأنّهم ما داموا محرومين في الدنيا فهم مغضوب عليهم ومطرودون من رحمة الله ،
وهؤلاء المرفّهون هم المحبوبون المقبولون لديه . ما أكثر المحرومين الذين امتحنوا
بالحرمان ، فنالوا أرقى الدرجات والمراتب الروحية . وما أكثر المرفّهين الذين أصبحت
أموالهم وثرواتهم وبالا عليهم ومقدّمة لعقابهم . أليس قد ذكرت الآية (15) من سورة التغابن
بصراحة (إنّما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) . ولكن ليس معنى هذا هو حتّى
الإنسان على ترك السعي والدأب اللازم لإقامة الأود ، بل المقصود هو التأكيد على أنّ إمتلاك
الإمكانات الإقتصادية والقوّة البشرية الواسعة لا يمثّل أبداً أيّة قيمة معنوية للإنسان
عند الله . ثمّ تتناول الآية موضوع المعيار الأصلي لتقييم الناس ، وما يسبّب قريهم منه (على
شكل إستثناء منفصل) فتقول: (إلاّ من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا
وهم في الغرفات آمنون)(2) . وعليه فجميع المعايير تعود أصلاً إلى هذين الأمرين "الإيمان" و
"العمل الصالح" . ويستوعب هذا المعيار جميع الأفراد وفي أي زمان أو مكان ، ومن أي طبقة أو
مجموعة كان . وإختلاف مراتب البشر أمام الله إنّما هو بتفاوت درجات إيمانهم ومراتب عملهم
الصالح ، ولا شيء سوى ذلك . حتّى طلب العلم أو _____ 1 - "زلفى" و
"زلفة" بمعنى المنزلة والخطوة (مفردات الراغب) ، ولهذا السبب عبّر عن (منازل الليل) بـ
(زلف الليل) - والتعبير بـ "التي" لأجل أنّّه في كثير من الموارد يعود الضمير المفرد
المؤنث إلى جمع التكسير ، وعليه فلا حاجة إلى التقدير هنا . 2 - التعبير بـ "جزاء الضعف"
من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة .